تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 5- سورة يوسف | من الأية 53 إلى 24

عبدالرحمن العجلان

الايات المبينة الموضحة لقصة يوسف على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام لما ثبتت برائته لدى العزيز في انه لم يراود امرأته وانما امرأته هي التي راودته يوسف عليه السلام. قال - 00:00:00

والله جل وعلا ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الايات. ليسجننه الناس يتحدثون بمراودة امرأة العزيز ليوسف ورأى العزيز كذلك انه لا يصلح ان يبقى يوسف مع امرأته في تلك المرة حصرت المراودة منها. وربما - 00:00:50

العزم فقال الله جل وعلا ثم بدا لهم يعني بدا للعزيز ومن معه من استشاره في الامر ان يسكنوه لان في سجنه ربما يكون نسيان للناس لما حصل من امرأة العزيز - 00:01:30

ربما يكون فيه تمويه على بعض الناس انه حصل منه ما حصل وان لم يحصل منه شيء فسجن لهذا وما كان عن رغبة من الوزير في ان يسكنه ليبعده عن زوجته. لانه تيقن ان زوجته - 00:02:00

وربما تكرر المراودة فيحصل الفعل فرأوا انه من المناسب لهم في ذلك الوقت ان يسجنوه. حتى الى وقت ما. لم يحدد هذا الوقت بطول ولا قصر ولم يكن هذا السجن عقوبة. لانه لا يستحق العقوبة عليه الصلاة والسلام. وفي هذا تسلية - 00:02:30

لمن سجن واوذي وعذب وهو بريء. فقد يسجن البريء النزيه في دينه وعرضه. كما سجن يوسف عليه الصلاة والسلام وان السجن لا يظير المؤمن ولا ينقص من قيمته شيء. اذا كان نزيها - 00:03:10

سالم من اذى الناس فلا يظيره السجن فكما قيل كم دخل السجن منبري؟ كثير ما يسجن المرء وهو بريء يحصل هذا في سجن يوسف عليه السلام تسليحة للاتقياء الاخيار الذين قد يسجنون وهم برآء - 00:03:40

من الذنب والعيب واللوم وانما سجنوا ظلما. قال الله جل وعلا ودخل معه السجن فتيان. قال احدهما اني اراني خمرا وقال الاخر اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه - 00:04:20

نبئنا بتعويله انا نراك من المحسنين الرجل الصالح الرجل التقي والمؤمن ينفع اينما كان ان كان طليقا نفع وان سجن نفع وهكذا فكثير من الاخيار سجنوا فنفعوا في سجنهم نفعا - 00:04:50

ان عظيم بتأليف الكتب في السجن. بتعليم الجاهل بالدعوة الى الله يدعو الى الله في سجنه. ينفع اينما حل دخل معه السجن فتيان. فتيان للملك الكبير الذي هو اكبر من العزيز. فرأيا في يوسف - 00:05:30

الخير والاستقامة والصلاح. فاحباه وعلامات الخير تظهر على المؤمن فرأيا رؤيا في المنام او انهما لم يريا شيئا وانما اراد ان يختبراه. واظهرا له ثبتهما وقال اعوذ بالله من محبتكما لي. فما احببني - 00:06:10

شخص الا اوذيت وعذبت من اجل محبته فاحبتني عمتي فاوذيت من اجل ذلك. واحبني ابي فالقيت في قعر البئر. واحبتني امرأة العزيز فدخلت السجن من اجل محبتها. قال احد هذين الفتيين - 00:06:50

اني ارى اني اراني اعصر خمرا وقال الاخر اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه وطلب منه تعبير هذه الرؤيا. وقد كان عند الملك احدهما يتولى شرابه. والاخر يتولى طعامه - 00:07:30

ثم ان الملأ خارج القصر يروى انه ما اغريا هذين الفتيين في ان يضعا السم للملك احدهما يضعه بطعامه والاخر يضعه بشرابه.

واعطاهما واعطيهما المال الكثير من اجل ثم ان صاحب الشراب - 00:08:10
ارعوى ولم يضع السم في الشراب وجاء الى الملك فقال لا تأكل من الطعام والطعام وقال للملك لا تشرب من الشراب انه مسموم فقدم صاحب الشراب الشراب للملك وقال له قال الملك له اشرب انت اولا - 00:08:50
فشرب فلم يضره فعرف انه لا سم فيه وقال وجاء صاحب الطعام بالطعام وقال له الملك كن انت اولا فابى ان يأكل لانه يعلم ان السم قد وضع فيه فامر الملك بان يعطى يؤكل منه دابة. تؤكل منه - 00:09:27
تأكل من هذا الطعام فأكلت فماتت فامر بسجن الغلامين ودخل السجن مع يوسف وطلب منه تعبير الرؤيا واثنيا عليه بقولهما له انا نبئنا بتعويل هذه الرؤيا انا نراك من المحسنين - 00:09:54
من اهل الاحسان لانهما رأيا فيه الخير والصلاح والاستقامة ونحن على الضعيف ويوانس المحزون ويعمل الخير ما استطاع فرأى عليه الصلاة والسلام انهما قد عظم وانهما سيقبلان منه فاستغل الفرصة - 00:10:34
وهكذا ينبغي للمؤمن الا يدع الفرصة الحسنة تفوته فيستغل كل لحظة وكل وقت وكل حين ولا ينتظر وانما يبادر استغلال ما يرى انه ينفع فيه ويقدم النفع ما استطاع فلما رأى يوسف عليه السلام - 00:11:10
حاجتهما اليه في تعبير الرؤيا ورأى تعظيمهما له استغل الفرصة فاخبرهما عليه الصلاة والسلام عن فضله وعما تمكن فيه بتوفيق الله جل وعلا وانهما سيريان منه الشيء الكثير من النفع - 00:11:43
فقال قال الله جل وعلا قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما مما علمني ربي قبل ان تأتيكما الطعام استطيع ان اخبركما اذا رأيتم الرؤيا - 00:12:20
اخبرتكما بتأويلها او قبل ان يأتيكم الشيء استطيع بما علمني الله ان اخبركم وذلك مما اطلعه الله جل وعلا من علم الغيب فعلم الغيب استأثر الله به لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل - 00:13:00
الا ما اطلع الله جل وعلا من شاء من عباده على شيء من المغيبات كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فيطلع الله من شاء من عباده على ما شاء من مغيباته - 00:13:39
ولا بأس للرجل ان يخبر عن شيء مما فضله الله جل وعلا به اذا لم يكن هذا على سبيل التعاظم والترفع وانما على سبيل ان يصل الى مقصوده من الدعوة الى الله - 00:14:11
ومن اجل ان تقبل دعوته اذا عرف فضله قبلت دعوته قال ذلكما مما علمني ربي ففوض العلم الذي علمه الى الله جل وعلا وانه بايحاء منه وليس تخرص من ناحية - 00:14:35
وليس من فعل الكهان والسحرة الذين يحاولون الاخبار عن شيء من المغيبات من غير علم ولا بصيرة وانما تخرصا وليأكلوا بذلك اموال الناس بالباطل فيوسف عليه السلام قال علمي ذلك مما علمني ربي - 00:15:05
ذلكما مما علمني ربي لم قال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون فابتعادي عن الكفر واهله سبب ان الله جل وعلا اصطفاني وعلمني بهذا العلم - 00:15:33
ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله قد يقول قائل قول يوسف عليه السلام تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله هل كان على هذه الملة ملة من لا يؤمن - 00:16:04
بالله ثم تركها نقول لا الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون عن الوقوع فيما حرم الله واشد المحرمات هو الكفر والشرك بالله وهم لم يشركوا بالله وانما معنى الترك هنا الابتعاد عن الشيء - 00:16:22
لو لم يكن المرء في شيء ما اذا ابتعد عنه فقد تركه يعني ابتعدت عن اهل الشرك فالمبتعد عن الشرك تارك له وان لم يكن عليهم الاصل اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون - 00:16:47
على ماذا انت ما دمت تركت ملة هؤلاء القوم؟ قال واتبعت ملة ابائي ابراهيم واسحاق ويعقوب اتبعت ملة ابائي واصلي اصل حسن اصل عريق في الكرم والاصطفاء والاختيار من الله جل وعلا - 00:17:11

كما قال عليه الصلاة والسلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن نبي الله يعقوب ابن نبي الله اسحاق ابن خليل الله ابراهيم فهو عريق الاصل كريم المنشأ - 00:17:43

اتبعت ملة ابائي ابراهيم واسحاق ويعقوب وملتهم هي الحنيفية السمحة هي الدين المستقيم هي الصراط المستقيم الموصل الى رضوان الله وجنته والله جل وعلا اوحى الى عبده ورسوله نبينا محمدا صلى الله عليه - 00:18:08

عليه وسلم ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين واتبعت ملة ابائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ومن هذه الاية اخذ بعض العلماء ان الجد يحل محل الاب ويسمى اب - 00:18:39

وهو عند فقد الاب يأخذ الميراث كما يأخذ الاب فالله جل وعلا يسمى ابراهيم واسحاق ابوين لاسماعيل ليوسف وهما جده ووالد جده ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء - 00:19:08

ما كان لنا ما يليق بنا ان نشرك بالله من شيء اي شيء وان قل لا نشرك بالله شيئا فما كان لنا وما ينبغي لنا ان نشرك بالله وقد عرفنا الله جل وعلا وعرفنا عظمته - 00:19:43

واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له. فمن عرف الله حقا عظمه حقا وكلما كان العبد اعرف بالله كان منه اكثر خشية كما قال الله جل وعلا انما يخشى الله من عباده العلماء - 00:20:08

فالعلما اهل البصيرة والعلم والمعرفة اكثر خشية لله جل وعلا من غيرهم وكما ورد من كان بالله اعرف كان منه اخوف ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء اي شيء وان كان قليلا - 00:20:37

اي نوع من انواع الشرك وان كان قليلا فتحقير للشيء المشرك به وان قل لا يقع ذلك من فضل الله علينا فضل الله علينا الذي فطرنا على الاسلام والدين والحنيفية - 00:21:05

وعلى الناس فضل الله جل وعلا على عباده عظيم والله جل وعلا فطر عباده على الحنيفية ملة ابراهيم وانما الشياطين اغتالت من اغتالت منهم عن دينه كما ورد في الحديث - 00:21:31

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله جل وعلا خلقت عبادي حنفاء فالله جل وعلا على عباده بالحنيفية ومنهم من استمر على ما فطره الله جل وعلا عليه ومنهم - 00:21:53

من حاذ ومال عن الصراط المستقيم واتبع الهوى والشيطان ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون اكثر الناس لا يشكرون هذه النعمة ولا يعترفون بها فيشركون مع الله غيره من لا يستحق شيئا - 00:22:14

من انواع العبادة وفي هذا دليل على انه لا ينبغي للانسان ان يغتر بالكثرة ويقول جل الناس على هذا واكثر الناس لا يشكرون وقليل من عبادي الشكور وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين - 00:22:39

وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله فلا يغتر العاقل بالكثرة ولا تنظر الى من هلك كيف هلك. وانما العبرة فيمن نجا كيف نجا احرص على سبيل النجاة وان قل سالكوه - 00:23:02

قال الله جل وعلا يا صاحبي السجن اما احدكما يا صاحبي السجن ارباب متفرقون خير الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان - 00:23:24

قال ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن ولكن اكثر الناس لا يعلمون لما بين يوسف عليه السلام فظله وما ميزه الله جل وعلا به من العلم والهدى - 00:24:01

وبين طريقته واتباعه لسلفه الصالح دين ابيه وجده وجد ابيه الحنيفية السمحة ورغبهما في ذلك دخل فيما يريده صلى الله عليه وسلم لما بين حسن طريقته وانتهى بين بعد ذلك - 00:24:28

سوء طريقتهم في عبادة غير الله جل وعلا فقال يا صاحبي السجن متفرقون خير ام الله الواحد القهار ارباب متفرقون الهة متعددة مختلفة شجر وحجر وذهب وفضة الواح كواكب الهة متعددة - 00:25:06

لا تنفع ولا تضر لو طلبت منها النفع ما نفعك ولا يمكن ان يقع منها ظر لو عاديتها وتركتها ارباب متفرقون مختلفون متفاوتون خير ام

اله واحد احد فرد صمد - 00:25:45
لا شك ان عبادة الواحد القهار الواحد الاحد النافع الضار خير وافضل. ارباب متفرقون خير عامل الله الواحد القهار. ما تعبدون من دونه اي الواحد القهار الا اسماء سميتموها. ما تعبدون الا اسماء - 00:26:18
لمسميات مجهولة او مختلقة هؤلاء نفع فيها ولا ضر اسماء بلا حقيقة او جمادات لا تصلح عليها هذه الاسماء ولا تصلح ان تكون الهة فعبادة الواحد المتفرد الالوهية القاهر لجميع خلقه - 00:26:52
خير وافضل ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم عبادتكم اياها لم تكن مبنية على سبعة ولا على دليل وانما اسماء سميتموها انتم واباؤكم شيء مستجد انتم سميتموه او توارثتموه عن ابائكم تقليدا اعمى - 00:27:26
انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ليس هناك حجة ولا دليل ولا برهان بصلاحيتها للعبادة فعبادتها لا فائدة فيها ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله. فالله جل وعلا هو - 00:28:02
الحاكم بين عبادة وهو المتصرف فيهم وهو الذي ينفذ حكمه جل وعلا ان الحكم الا لله فالحكم الحقيقي الكامل من جميع الوجوه لله جل وعلا وحكام الدنيا اما حكام المنفذون لما اراده الله - 00:28:38
وهؤلاء على خير ويؤجرون بعملهم واما حكام شر وسوء وانا لعباد الله ومردهم الى الله جل وعلا يحكم فيهم يوم القيامة بما شاء واراد. يعني ما الحكم الا لله امر - 00:29:18
حكم وقضى ووصى جل وعلا وارشد عبادة الا تعبدوا الا اياه. امر الا تعبدوا الا اياه فمن اطاع هذا الامر الالهي سعد في الدنيا والاخرة ومن عصى الامر الالهي شقي في الدنيا والاخرة - 00:29:52
امر الا تعبدوا الا اياه مشتمل على الحصر ذلك الدين القيم. هذا الدين المستقيم. هذا الحق هذا الصراط المستقيم لا الطرق الملتوية لا عبادة الالهة التي لا تنفع ولا تضر - 00:30:24
ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون لو علموا حقيقة العلم لما عبدوا الا الله لان من كان عنده علم ارشده الى الحق والحق في عبادة الله وحده ومن عبد غير الله - 00:30:51
كما عبده الا لخلوه من العلم النافع والمراد بالعلم العلم النافع في الدنيا والاخرة وليس مطلق العلم فقد يكون عند المرء بعض العلم الذي لا ينفعه كما اثبت الله جل وعلا للكفار - 00:31:24
شيئا من علم الحياة الدنيا في قوله جل وعلا يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة غافلون العلم علم نافع في الدنيا والاخرة وعلم ضار لا ينفع صاحبه وقد يضره - 00:31:51
فالمنفي هنا عن كثير من الناس العلم النافع وقد يكون عالما علما لا ينفعه بعدما دعاهما الى الله جل وعلا ورغبهما في عبادة الله وحده ونبذل عبادة ما سواه وهكذا ينبغي لكل - 00:32:18
من سلك سبيل الانبياء والمرسلين كل من اتبع سبيل الرسل ان يدعو الى الله ولا يحتقر شخصا مهما كان وان كان خادما وان كان رقيقا. وان كان ضعيفا ادعوا الى الله - 00:32:48
ما استطعت ولا تترك كبيرا لكبره ولا صغيرا احتقارا له وانما المؤمن المقتدي بالرسل يدعو الى الله دائما وابدا كما قال الله جل وعلا عن عبده ورسوله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قل هذه - 00:33:11
سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الاخر ويصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان. يا صاحبي السجن - 00:33:37
يجوز ان ينسب المرء الى شيء ما اي صفة تقول هذا صاحب الليل يعني صاحب قيام الليل هذا صاحب القرآن الذي اتخذ القرآن قرينا له يقرأه دائما وابدا يا صاحبي السجن يعني الموجود في السجن - 00:34:04
وقال بعض السلف بعض المفسرين معناها يا صاحبي في السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا فسر رؤياهما عليه الصلاة والسلام وابهم كل واحد من الاخر لان واحد له السلامة وسيخبره بذلك - 00:34:31

وواحد له الهلاك ولم يخبره بل جعله يتأمل لعله يكون هو السالم وصاحبه هو الهالك لم يقابله لان بانه سيهلك قال اما احدكما فيسقي ربه خمرا واحد منهم يخرج ويسقي ربه الخمر يعني يبقى حيا - 00:34:58

ويخدم سيده واما الاخر فيقتل ويصلب وتأكل الطير من رأسه قال بعض المفسرين انه لما عبر لهما هذه الرؤيا بهذا التعبير قالا ما رأينا شيئا ما رأينا رؤيا وانما اردنا اختبارك - 00:35:27

وقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان. الامر قضي وانتهى وكما ورد في الحديث وكما تقدم الدرس السابق ان الرؤيا على رجل طاهر فاذا عبرت وقعت وان تركت مرت فلا تضر - 00:35:53

وامر صلى الله عليه وسلم من رأى رؤيا حسنة ان يحمد الله ولا يخبر بها الا صديقا. ومن رأى رؤيا سيئة ان ينقلب عن شقه الذي كان نائما عليه ويتفل ثلاثا ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم - 00:36:18

ولا يخبر بها احدا فانها لا تضره. فخرجا معا اما احدهما الساقي فبقي واستمر على عمله ووظيفته تقليم السقيا للملك واما الاخر فقتل وصلب فاكلت الطير من رأسه وقال للذي ظن ان ناج منهما اذكرني عند ربك - 00:36:42

وقال قال للذي ظن انه ناج منهما هم اثنان واحد عرف يوسف انه سينجو والاخر عرف انه هالك لا محالة فهل يوصي الناجي ام الهالك وصى الناجي عليه الصلاة والسلام واسر له - 00:37:19

وبين له انه هو الناجي وقال له اذكرني عند ربك اذكرني عند الملك قل ان في السجن غلاما سجن ظلما وقال للذي ظن علم بانه بهذه الرؤية التي فسرها علم انه سينجو - 00:37:47

ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك اخبر ربك بحالي لعله يأمر باخراج قال الله جل وعلا فانساه الشيطان ذكر ربه. لما طلب يوسف عليه السلام من احد الفتيين بان يذكره - 00:38:08

عند سيده لعله يخرجه كانه ولد في قلبه عليه الصلاة والسلام ميل الى الاستعانة بالمخلوق. ومن المعلوم ان هذه استعانة فيما يقدر عليه المخلوق. لم يطلب منه شيئا لا يقدر عليه الا الله - 00:38:37

لكن لو فوض امره الى الله جل وعلا ولم يطلب الاستعانة به لربما لم يبقى في السجن مثل ما بقي كما ورد في بعض الاثار فانساه الشيطان ذكر ربه الشيطان انسى هذا الفتى - 00:38:57

ان يذكر يوسف لسيده بانه سجين ومظلوم نسي ذلك وما ذكر ومضى على ذلك سنوات فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين. بقي في السجن سنوات بضع البظع من الثلاثة الى التسع - 00:39:19

وماذا بقي يوسف؟ قيل بقي في السجن سبع سنين وقيل بقي اثنتي عشرة سنة وقيل بقي اربع عشرة سنة سجينة فلبث في السجن بضع سنين. لحكمة يريدها الله جل وعلا - 00:39:44

ثم انه لما اراد الله جل وعلا خروجه هيأ لذلك اسبابا فارى الملك رؤيا افزعته وطلب تعبيرها من الحاضرين ومن حوله فلم يجد من يعبره من يعبرها له فذكر الغلام الذي خرج من السجن ذكر حال يوسف وانه هو الذي يعبر الرؤيا - 00:40:06

وهذا ما سيأتينا في الايات في الدرس القادم ان شاء الله والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:40:41